تفسير القرآن الكريم

سورة الإنسان ٢٦ -٢-١٤٠٣ ٤

دراسات الأستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١)

سورة الإنسان

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(٢)

سورة الإنسان

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا(٣)

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و قوله (إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ) معناه انا أرشدناه إلى سبيل الحق و بيّناه له و دللناهَ عليه.
- و قال الفراء: معناه هدیناه إلى السبيل أو للسبيل. و المعنى واحد.

التبيان فی تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۰۷

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و قوله (إِمَّا شاكراً وَ إِمَّا كَفُوراً) قال الفراء: معناه إن شكر وَ إِنْ كفر عَلى الجزاء و يجوز أن يكون مثل قوله (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يتوب عَلَيْهِمْ) «٣»
- (٣) سورة ٩ التوبة آية ١٠٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠٧

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا

- و المعنى اما يختار بحسن اختياره الشكر للّه تعالى و الاعتراف بنعمه فيصيب الحق، و اما أن يكفر نعمه و يجحد إحسانه فيكون ضالا عن الصواب،

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۰۷

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و ليس المعنى انه مخير فی ذلک، و إنما خرج ذلک مخرج التهديد، كما قال (فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ) «۴» بدلالة قوله (إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً) و إنما المراد البيان عن انه قادر عليهما فأيهما اختار جوزی بحسبه.
- (۴) سورة ۱۸ الكهف آية ۲۹

التبيان فی تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۰۷

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و فی الآیة دلالة علی انه تعالی قد هدی جمیع خلقه المکلفین، لأن قوله (إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ) عام فی جملتهم و ذلک یبطل قول المَجبرة: إن اللَّه َلم یهد الکافر بنصب الدلالة له علی طریق الحق و اجتناب الباطل،

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۰۷

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و ليس كل من ترک الشکر کان کافراً، لأنه قد یترک فی بعض الأحوال علی سبیل التطوع، لان الشکر قد یکون تطوعاً کما یکون واجباً، و إنما لم یذکر اللّه الفاسق، لأنه اقتصر علی أعظم الحالین و ألحق الأدون علی التبع، و یجوز أن یدخل فی الجملة، و لا یفرد، فلیس للخوارج أن یتعلقوا بذلک فی انه لیس بین الکفر و الایمان واسطة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۰۷-۲۰۸

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا

- قوله تعالى: «إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكراً وَ إِمَّا كَفُوراً» الهداية بمعنى إراءة الطريق دون الإيصال إلى المطلوب و المراد بالسبيل السبيل بحقيقة معنى الكلمة و هو المؤدى إلى الغاية المطلوبة و هو سبيل الحق.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٢

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و الشكر استعمال النعمة بإظهار كونها من منعمها و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: «وَ سَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»: آل عمران: ۱۴۴ إن حقيقة كون العبد شاكرا للّه كونه مخلصا لربه،
- و الكفران استعمالها مع ستر كونها من المنعم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ۲۰، ص: ۱۲۲

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و قوله: «إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً» حالان من ضمير «هَدَيْناهُ» لا من «السَّبِيلَ» كما قاله بعضهم، و «إِمَّا» يفيد التقسيم و التنويع أى إنا هديناه السبيل حال كونه منقسما إلى الشاكر و الكفور أى أنه مهدى سواء كان كذا أو كذلک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٢

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و التعبير بقوله: «إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً» هو الدليل أولا: على أن المراد بالسَبيل السنة وَ الطريقة التى يجب على الإنسان أن يسلكها فى حياته الدنيا لتوصله إلى سعادته فى الدنيا و الآخرة و تسوقه إلى كرامة القرب و الزلفى من ربه و محصله الدين الحق و هو عند الله الإسلام.
- و به يظهر أن تفسير بعضهم السبيل بسبيل الخروج من الرحم غير سديد.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٢

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و ثانيا: أن السبيل المهدى إليه سبيل اختيارى و أن الشكر و الكفر اللذين يترتبان على الهداية المذكورة واقعان فى مستقر الاختيار للإنسان أن يتلبس بأيهما شاء من غير إكراه و إجبار كما قال تعالى: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ»: عبس: ٢٠، و ما فِي آخر السورة من قوله تعالى: «فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» إنما يفيد تعلق مَشيته تَعالَى بمشية العبد لا بفعل العبد الذى تعلقت به مشية العبد حتى يفيد نفى تأثير مشية العبد المتعلقة بفعله، و قد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى فى ج ٢٠، ص ١٢٢ الكتابة و الإملاء.[١٥]

[١٥] الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ١٢٢.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و الهداية التى هى نوع إيذان و إعلام منه تعالى للإنسان هداية فطرية هى تنبيه بسبب نوع خلقته و ما جهز به وجوده بإلهام من الله سبحانه علي حق الاعتقاد و صالح العمل قال تعالى: «وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها»: الشمس: ٨ و أوسع مدلولا منه قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»: الروم: ٣٠.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و هداية قولية من طريق الدعوة يبعث الأنبياء و إرسال الرسل و إنزال الكتب و تشريع الشرائع الإلهية، و لم يزل التدبير الربوبى تدعم الحياة الإنسانية بالدعوة الدينية القائم بها أنبياؤه و رسله، و يؤيد بذلک دعوة الفطرة كما قال: «إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْکَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ- إلى أن قال- رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ»: النِّسَاء: ١٦٥.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا

- و من الفرق بين الهدايتين أن الهداية الفطرية عامة بالغة لا يستثنى منها إنسان لأنها لازم الخلقة الإنسانية و هى فى الأفراد بالسوية غير أنها ربما تضعف أو يلغو أثرها لعوامل و أسباب تشغل الإنسان و تصرفه عن التوجه إلى ما يدعو إليه عقله و يهديه إليه فطرته أو ملكات و أحوال رديئة سيئة تمنعه عن إجابة نداء الفطرة كالعناد و اللجاج و ما يشبه ذلك

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- قال تعالى: «أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اَللَّهِ»: اَلجَاثية: ٢٣،
- و الهداية المنفية فى الآية بمعنى الإيصال إلى المطلوب دون إراءة الطريق بدليل قوله: «وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ».

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا

- و أما الهداية القولية و هى التى تتضمنها الدعوة الدينية فإن من شأنها أن تبلغ المجتمع فتكون فى معرض من عقول الجماعة فيرجع إليها من آثر الحق على الباطل

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و أما بلوغها لكل واحد واحد منهم فإن العلل و الأسباب التى يتوسل بها إلى بيان أمثال هذه المقاصد ربما لا تساعد على ذلک على ما فى الظروف و الأزمنة و البيئات من الاختلاف و كيف يمكن لإنسان أن يدعو كل إنسان إلى ما يريد بنفسه أو بوسائط من نوعه؟ فمن المتعذر ذلک جدا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- و إلى المعنى الأول أشار تعالى بقوله: «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ»: فاطر: ٢٤،
- وَ إِلَى الثَّانِي بقوله: «لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ»: يس: ٦.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً

- فمن بلغته الدعوة و انكشف له الحق فقد تمت عليه الحجة و من لم تبلغه الدعوة بلوغا ينكشف به له الحق فقد أدركه الفضل الإلهى بعده مستضعفا أمره إلى الله إن يشأ يغفرله و إن يشأ يعذبه قال تعالى: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا»: النساء: ٩٨.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا

- ثم من الدليل على أن الدعوة الإلهية و هى الهداية إلى السبيل حق يجب على الإنسان أن يتبعها فطرة الإنسان و خلقته المجهزة بما يهدى إليها من الاعتقاد و العمل، و وقوع الدعوة خارجا من طريق النبوة و الرسالة فإن سعادة كل موجود و كماله فى الآثار و الأعمال التى تناسب ذاته و تلائمها بما جهزت به من القوى و الأدوات فسعادة الإنسان و كماله فى اتباع الدين الإلهى الذى هو سنة الحياة الفطرية و قد حكم به العقل و جاءت به الأنبياء و الرسل عليهم السلام.[٢٤]

[٢٤] الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٤

سورة الإنسان

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَاْ وَ أَغلَالًا وَ سَعِيرًا(۴)